

عادات لها آلاف السنين

يخطئ المذنبين يعتقدون أن بعض الأفكار الخاطئة التي تشيع في مجتمعنا المعاصر إنما هي بنات الجهل وفترة التخلف التي عاشتها مصر خلال القرن التاسع عشر وما قبله بقليل، غافلين عن أن كثيرا من العادات المصرية القديمة، التي ترجع إلى عصور المزارعة، قد استمرت عبر العصور، وارتبطت بحياة الشعب المصري حتى وصلت إلينا، وحلقت بأجنحتها فوقنا، ومازالت تسكن عقول الكثيرين منا. □ □

ومن ذلك: شدة الحرص على كثرة الأولاد والنسل، ولهذا السبب يكثر الريفيون بتزويج أبنائهم وبناتهم، تبعا لما قاله الحكيم (آنى) فى وصية إلى ابنه: اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير، حتى تعطيك ابنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا — وإلى هنا الكلام معقول جدا لكنه يضيف قائلا: إن السعيد من كثرت ذاسه وحياله، لكى يوقرونه من أجل أبنائه !! ونحن حاليا نعيب على شبابنا شدة إقبالهم على الوظيفة الحكومية ونحاول أن ندفعهم دفعا إلى آفاق المشروعات الخاصة، التى هى أساس ازدهار المجتمع. لكننا ننسى أن حب الوظيفة الحكومية هو عادة فرعونية قديمة. كتب أحد أجدادنا إلى ابنه يقول: بلغنى أنك أهملت دراستك، وسرت وراء ملاهيك. فهل تريد أن تكون فلاحا تشقى وتكدح! لا تكن فلاحا، ولما تكن جنديا، ولما تكن كاهنا، بل كن موظفا يحترمك الجميع، ويمتلى منزلك خدما وحشما وتتربع فى مجلس المثلاثين إلى جانب رجال البلاط. ولدينا عادة التذمر الشديد من الانتقال للعمل فى مكان آخر، وقد أدركت الإدارة المصرية ذلك منذ القدم فجعلت النقل إلى مكان بعيد عقابا على خطأ أو تعبيراً عن عدم رضا. ولنستمع إلى ذلك الموظف المسكين الذى نقل من بلده منفيس منذ أربعة آلاف سنة، فكتب يقول: إنى أجلس هنا بالجسم على حين تطير روحى إلى منفيس، حتى تطمئن على الأحوال هناك وتستقر. إنى أجلس هنا ولست بمستطيع أن أقوم بعمل.. أى الهى بتاج.. احضر إلى وخذنى إلى منفيس ودعنى أرها ولو من بعيد !! وكان ومازال الإسراف فى الأفراح من عادة المصريين، قدماء ومعاصرين. فقد كان أثرياء العصور القديمة ينفقون ببذخ شديد على ولائم الأفراح، ويقدمون فيها مختلف أنواع اللحوم، وكانت تقاس مكانة الداعي بمقدار ما يقدمه فى الوليمة من ألوان الطعام والمشروبات، وكان يطوف بالمدعوين قبل الأكل وبعده خدم بأباريق مملوءة بالماء ليغسلوا فيها أيديهم.. تماما كما يحدث حتى اليوم! وكان ومازال الاعتقاد فى تأثير السحر موجودا بقوة عند القدماء والمعاصرين. وكان السحرة القدماء يصنعون تماثيل من الشمع، ويغرزون فيها الدبابيس ليصيبوا من يريدون بالألم والمرض، كما كانوا يضعون التماثيل والأحجية لأغراض الحب والكراهة والحفظ، ويوصون بتعليقها فى رقاب الأطفال لكى يعيشوا وتطول أعمارهم. وبالطبع كلنا يشاهد حاليا (الخمسة وخميسة) المصنوعة من الذهب أو الفضة على صدور أطفالنا وأحياننا على جبهاتهم.

وكان المصريون فى عمومهم يؤمنون بوجود ساعات للنحس من بين ساعات الليل والنهار، كما كانوا يعتقدون بدخول الجن إلى أجساد بعض الناس، وعدم خروجهم منها إلا بعد إقامة حفل صاحب (الزار).. أما الحسد، فكان ومازال الاعتقاد شائعا فيه، وللحماية منه وضعوا على أبواب البيوت بعض الصحون وقروى الأغنام وعروسة القمح، وفى أيامنا هذه يضع أصحاب السيارات الخرز والسبح والمقلائد اتقاء لعين الحسود..